تحليل يسرد ما بعد الاتفاق السعودي الايراني في الصين

ما أهمية قطع رأس طهران وأنيابها السامة الحوثية؟

هل ستنتهي الحرب باليمن بعد الاتفاق؟

«الأمناء» تحليل/ أسامة الشرمي:

بعد الاتفـــاق الذي جـــرى التوقيع عليه في العاصمة الصينية بيجين بين الســـعودية وإيران، يتطلع العالم إلى إنهاء الحرب باليمن، بإعتبار القوتين الإقليمية الســـعودية/ايران هما الفاعل الاقليمي والدولي الأهم على هذا الملف ولطالما جرى تعريـــف هذه الحرب أنها حرباً بالوكالة تخوضهـــا ايران على الحدود الجنوبية للمملكة العربية السعودية، وهو ما دعا الرياض للإســـتجابة إلى طلب الحكومة الشرعيـــة بالتدخل العســـكري، وعلى ايقاع تهاوي الدولة اليمنية بيد المليشـــيا المدعومة إيرانياً تشكل التحالف العربي لدعم الشرعية وشن اولى غاراته الجوية على الحوثيين في مارس ٢٠١٥م.

لذا هل سينهي الاتفاق السعودي الايراني حرباً شـــاملة دارت رحاها لأكثر من ثمانية أعوام على كامـــل جغرافيا البلاد، هذه الحرب التي بـــدأت فعلياً قبل ذلـــك بأكثر من عشر ســـنوات بين ذات الاطراف المحلية الحوثيون من جهـــة ويقابلهم الحكومـــة في الطرف الاخر!

محطات الحرب

بدأت الحـــرب بين الحكومة ومســـلحي جماعة الحوثي عـــام ٢٠٠٤م على اثر تمرد مقاتلين يتبعون المذهب الزيدي قاده حسين الحوثي مؤســـس الجماعة انتهت العمليات بإنهاء التمرد ومقتل بعض قادته على رأسهم حســـين الحوثي واعتقـــال اخرين على ذمة الاحداث.

ســـجل أول حضور اقليمي للحرب ٢٠٠٩ فيما يطلـــق عليها الحرب السادســـة عندما قامت عناصر حوثيـــة بالهجوم على مواقع عسكرية سعودية خارج الحدود اليمنية ولم يتوقـــف الحوثيين إلا بعـــد التمركز في جبل دخان وتوزعوا على ٤٨ موقعاً داخل الأراضي السعودية، كما ضبطت قوات خفر السواحل اليمنية قـــارب صيد على متنـــه ٥ ايرانيين بحوزتهم اســـلحة ايرانية مضـــادة للطيران كانـــت في طريقها للحوثيـــين، بعدها اعلن الرئيس الســـابق صالح أن قيادات الجماعة المعتقلين اعترفوا بتلقيهم الدعم من إيران.

المصالح الاقليمية

لم تكن القوى الإقليمية هي الســـبب في اشـــعال فتيل الحرب باليمن على الأقل علناً، إلا أن تقاطـــع المصالح الدولية باليمن هي ما جعلت من هذه الحرب أكبر ازمة انسانية في التاريخ بحســـب تصنيف الأمم المتحدة، لهذا نحتاج تفكيك المصالـــح الدولية باليمن وهي تتوزع كالتالي:

أولا الســـعودية: ترتبـــط المملكة العربية السعودية مع اليمن بحدود برية يبلغ طولها ١٤٥٨ كيلو متر بالإضافـــة للحدود البحرية على مياه البحـــر الأحمر، هذه الحدود تحتاج لتأمينها إمكانيات لا يســـتطيع أحد تحملها إلا في حال التعـــاون بين الجانبين في علاقة يعمها السلام ويحكمها مبادئ حسن الجوار، ولطالما كانت هـــذه الحـــدود والعلاقة على ضفتيها واحدة من أهم الملفات التي شغلت كل المسؤولين بمختلف مستوياتهم في البلدين.

بالإضافـــة للأمن العربي المشـــترك وأمن ممـــرات الملاحة في البحـــر الأحمر والعمالة اليمنية في الخليج والاستثمارات السعودية باليمن والعلاقـــات الاجتماعيـــة ومحاربة الإرهاب والهجرة الغـــير شرعية كلها وأكثر من ذلك تجعل المصالح الســـعودية باليمن لا متناهيه، ويهم صانع القرار السعودي سلامة حدوده وعمقه الجنوبي بكل الوسائل المتاحة.

ثانيـــاً إيـــران: منذ قيام ثـــورة الخميني في طهـــران تولـــدت لـــدى الإيرانيين احلام امبراطورية توســـعية لخصتها في شـــعار تصديـــر الثورة، وبعد أن بـــددت هذه الأحلام لأكثر من عقدين من الزمان على خط الدفاع العربي الشرقي متمثل في نظام صدام حسين في العراق، بعدها خرجـــت الأطماع الايرانية الى حيز الوجـــود إثر غزو العـــراق من قبل الولايات المتحدة الامريكية في عام ٢٠٠٣م.

ارتكز المشروع الإيراني التوســـعي على ثلاث غايات رئيســـية، هـــي تعزيز منظومة الدفاع الداخلي نووياً وتكنولوجياً، والسيطرة على ممرات الملاحـــة الدولية (أمن المضائق)، وتصدير المذهب الشـــيعي ودعـــم الأقليات الشـــيعية في بلـــدان المنطقة؛ وفي ســـبيل تحقيق هذه الغايات الاســـتراتيجية وضعت ايران نصب اعينها سيناريو المواجهة مع كل الدول في المنطقة ولاســـيما تلـــك التي تمثل قوة إقليمية وتملك تحالفات من نوعاً ما مع المنظومة الغربية.

لهـــذا كانـــت اليمـــن رقعـــة جغرافية اســـتراتيجية هامـــة في خارطـــة المشروع الإيراني، كونها تطل على مضيق باب المندب الاســـتراتيجي، وتحاذي الســـعودية اقوى الـــدول في العالم العربي واكبر مصدر للنفط في العالم وترتبطها علاقات استراتيجية مع الغرب، وتوجد باليمن اقلية شـــيعية (زيدية) تدعي المضلومية اسوة بكل الأقليات الشيعية في العالم.

وليس غريباً التزامن بين استعادة تنشيط الطموح الايـــراني في الأقليم بعد غزو العراق في ٢٠٠٣ وأول حرب قامـــت بين الحوثيين والحكومـــة في عـــام ٢٠٠٤ ، وإذا ذكرنا أن حســـين بدرالدين الحوثي مؤسس الجماعة كان مقيماً في ايران لعدة سنوات ودرس في جامعاتها وعلى يد مرجعياتها الدينية، فإننا نستقرئ الوســـائل التي استعملتها إيران في إطار اهدافها الكبرى، ويذهب التفكير بسبب التستر من قبل الحوثيين على نشاط زعيمهم لسنوات في إيران وعدم توضيح أي معلومات عن تلك المرحلة الهامـــة من حياته، أن يكون تم تأهيله عسكريا وتنظيمياً على يد الحرس الثوري الإيراني وهو ما يحاولون اخفاءه، والأمـــر ينطبق أيضاً على شـــقيقه عبدالملك الحوثي الزعيم الحالي للجماعة.

ثالثاً قـــوى أخرى: اليمـــن محط انظار ومصالح دول كثيرة غير من ســـبق ذكرهم، فاليمن لذات الأســـباب التـــي أوردناها عن الســـعودية هي محل اهتـــمام دول الجوار الأخرى مثل ســـلطنة عمان، وإن بشكل اقل قلقاً للعمانيين مقارنة بالســـعودية، واليمن كذلك محل انظار كل المشـــاريع التوســـعية على مســـتوى الاقليم مثل تركيا وإسرائيل أو القوى الكبرى في العالم مثل أمريكا والصين وبريطانيا وروســـيا وحتى فرنسا التي كانت حتى قبل الحرب أكبر مســـتثمر دولي باليمن من خلال شركة توتال الفرنسية.

المصالح بين الدبلوماسية والصدام

مـــن الطبيعي أن تتطلـــع دول العالم إلى مصالحهـــا أو حماية أمنهـــا القومي في أي بقعـــة ارض تقع داخل حـــدود دولة أخرى، فالوســـائل الدبلوماسية تســـتطيع أن تقدم اكثر من طريقة لإدارة هـــذه التقاطعات في إطار الجغرافيا السياسية للدولة، على أساس المصالح المتبادلة، أو وفقاً لمبادئ احترام سيادة الدول عندما لا تـــرى دولة ما أي مصلحة لها في التعاون مع أصحاب المصالح الدولية، وإن لزم الأمر يكفـــل القانون الدولي للدولة الحق في اســـتخدام القوة لحماية ارضها وشعبها وثرواتهـــا، هذا في ظل وجـــود الدولة، لكن عندما تنهار الدول من الداخل! تبدأ المعركة بين الكبار على حماية مصالحهم بأنفسهم.

نعود إلى ســـؤالنا الرئيسي، هل سينهي الاتفاق الســـعودي الايراني الحرب باليمن؟ والاجابة على قسمين:

الأول: إذا جرى تنفيذ هذا الاتفاق وصدقت النوايا الايرانية في احترام مضامينه الرئيسية وهي احترام ســـيادة الدول، وحسن الجوار، فإن الاتفاق سيفضي إلى وقف شريان الحرب (الحبل الـــسري) الذي تســـبب في اندلاعها واعطاها ابعاداً اكبر مما لو كانت مجرد حرب أهليه، يعنـــى أن هذا الاتفاق لو جرى توقيعه قبل انهيار الدولة وتم تنفيذه في حينه، كانت الحرب لتنتهي بتوافق اليمنيين أو بسط الدولة اليمنية لسيطرتها على كامل ترابها الوطني، ســـواء بجهودها الذاتية أو بدعم الإشـــقاء حفاظاً على أمنهم القومـــي وعملاً بقواعد القانون الدولي، وهذا ما لم يحصل.

الثـــاني: في هذه المرحلـــة من الصراع لم يعد الشريـــان الإيراني ذي أهمية بالنســـبة للحوثيين، فبعد ١٩ عاماً على أول تمرد مسلح للجماعة على الدولة، وما يقترب من ٩ اعوام من السيطرة على مؤسسات الدولة، امتلكت مليشـــيا الحوثي خبرة كبيرة في إدارة الأزمة وخلق مصادر تمويل وطرق تهريب الســـلاح خاصة بها، وبات لديها اليوم واقعها الجديد الذي تحاول فرضه على اليمنيين والعالم، وإذا افترضنا احترام إيران لاتفاقها مع السعودية، ستسعى الجماعة بقوة السلاح الذي راكمته أن تطرح شروطاً خاصة بهـــا على الطاولة والتي ســـتكون بالضرورة على حساب باقي اليمنيين، واقعاً سيجعل اليمن محتلاً داخلياً ومصدر قلق للســـعودية والأشقاء على المدى الطويل وعلى العالم في المدى المنظور، وحرفياً سيجعل اليمن بيد إيران.

كالأفعى برأســـين، رأس تـــأكل بها من طهران وأخرى لها أنياب تســـيل بالســـم في صعدة، إذ لا يكفي أن تقطع الرأس الايرانية أو تطعمها لتأمن، مالم تقطع الرأس الأخرى ولا خيار معها إلا قطعها.